سلسلة الفتوحات الإسلامية

فتح المدائن
موقعة جلولاء

بقلم

محمد ثابت توفيق

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

فتح المدائن موقعة جلولاء. ـ الرياض.

٤٣ ص ؛ ١٧ x ٢٢سم (سلسلة الفتوحات الإسلامية ؛ ٥)

ردمك : ٠ -٩٢١-٢٠-٩٩٦٠

١ ـ الفتوحات الإسلامية أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٩٥٣,٠٢٣ ٢٢/٠٩٦٧

ردمك : ٠-٩٢١-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٢٢/٠٩٦٧

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

موقف قوة

موقف الجيش الإسلامي في فارس:

أنعم الله على الجيش الإسلامي الذي كان يحارب في بلاد فارس، فحقق النصر على يد قائده سعد بن أبي وقاص في موقعة القادسية؛ وبذلك أصبح المسلمون منتصرين على ثاني أكبر قوة في الأرض في ذلك الوقت؛ الفرس. وهكذا لم تمض ثلاث سنوات على مسير خالد بن الوليد أول قائد مسلم حارب في بلاد الفرس حيث انتصر عليهم في عشر معارك متتالية أشهرها ذات السلاسل، ولم يمنعه من مواصلة فتوحاته إلا انشغاله بنصرة المسلمين الذين يحاربون مع القوة الأولى في العالم في ذلك الوقت؛ الروم، ولم تمض الثلاث السنوات حتى كان سعد بن أبي وقاص يواصل هذه الفتوحات، وها هو في العام الخامس عشر من الهجرة يقف منتصراً على الفرس في معركة بالغة العظمة، رفعت راية الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، وأنقذت أهلها من ظلم الفرس، ونشرت قيم الإسلام العظيمة في أرضهم.

أمر جديد من أمير المؤمنين:

لكن معركة القادسية العظيمة لم تكن آخر المعارك مع الفرس، فقد ترك

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الجيش كي يستريح، ثم أمر قائده سعداً بأن يسير لفتح أعظم بلاد الفرس؛ المدائن، والمدائن هو اسم منطقة في تلك البلاد، كان حكام الفرس يقيمون فيها، ومنها كانوا يحكمون، وقد بنوا قصورهم العالية الشاهقة، وفيها إيوان كسرى، وقصره الأبيض الذي كان يعد من عظائم الدنيا وعجائبها، وقد وعد الرسول ﷺ المسلمين بفتحه(١).

وهكذا أصبح أمام المسلمين مهمة جديدة، وهي تطهير أعظم بلاد الفرس مِن حكم مَن بقي منهم بعد هربه من أمامهم في معاركهم السابقة.

وهذه المدائن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو الغربي الذي لا يفصله عن البلاد التي فتحها المسلمون نهر،

والقسم الآخر: المدائن الشرقية التي يفصلها عن المسلمين نهر دجلة.

وسار المسلمون لا يقابلون جيشاً من جيوش الفرس المجتمعين للانتقام منهم إلا وهزموهم، حتى أولئك الجنود الذين قادتهم «بوران» ابنة كسرى حاكم الفرس – هزمهم المسلمون، وقد كانوا يُقسِمون كل صباح:

«لا يزول ملك فارس ما عشنا»(٢).

---

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٦ – طبعة دار الغد العربي.

(٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – ص ٢ – ص ٥٨.

كانوا يقسمون بأن ملك فارس لن ينتهي ما عاشوا، فخيب الله رجاءهم لأنهم على الباطل، وواصل المسلمون انتصاراتهم بتفريق هؤلاء الفرس، وكانوا قد أحضروا معهم أَسَداً ليرهبوا به المسلمين، ويخيفوهم، ولكن أحد الصحابة واسمه هاشم بن عتبة تمكن من قتله.

المسلمون يواصلون سيرهم:

وواصل المسلمون سيرهم حتى وصلوا إلى بلدة تُسمى بهرسير، وفيها المدائن الغربية، وكان ذلك في ذي الحجة من العام الخامس عشر، وكان أهل المدينة قد احتموا بها، فوجد المسلمون أمامهم عدداً كبيراً جداً من الفلاحين، حتى إن عددهم يُقدر بمئة ألف، فحبسهم سعد بن أبي وقاص، وأرسل إلى أمير المؤمنين يسأله ماذا يفعل بهم، ولأن الإسلام دين الرحمة، لا يرضى الظلم لأحد ضعيفاً كان أو قوياً، فقد وصل رد أمير المؤمنين:

«إنّ مَنْ أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يُعينوا عدوكم عليكم، فهو أمانُهم، ومَنْ هرب فأدركتموه فشأنكم به – أي: افعلوا به ما تريدون –».

ونفذ سعد وصية أمير المؤمنين، فتركهم جميعاً، ثم أرسل يعرض عليهم الثلاثة العروض، فإما الدخول في الإسلام، وإما دفع الجزية، وإلا فإنها الحرب، فأجابوه برغبتهم في دفع الجزية فوافقهم سعد على رأيهم، فأحس

هؤلاء الفلاحون بعظمة الإسلام حينما كانوا في أيدي أصحابه، فلم يقتربوا منهم، ولم يمسوهم بسوء، بعدما اتفقوا على دفع الجزية،، وهو مبلغ غير كبير مناسب لما لديهم، وأحسوا بالفرق الهائل بين حسن معاملة المسلمين لهم، وقسوة الفرس في معاملتهم(١).

مقاومة أهل بهرسير:

ولكن أهل مدينة بهرسير رفضوا أن يدفعوا الجزية، وقرروا أن يحاربوا المسلمين، ولم ينتبهوا لتحذير سلمان الفارسي الصحابي الجليل لهم، وأرادوا حماية المدينة، فجهزوا المجانيق – وهو مقذاف تلقى به الحجارة –، وغيرها من وسائل الدفاع، يخيفون بها المسلمين حتى لا يقتربوا من مدينتهم، فأمر سعد بإعداد المجانيق، وأقامها على المدينة، كل هذا وأهلها بها لا يخرجون، ولكن الله خيب ظنهم في أنفسهم، كما خيب ظن جيش بُوران ابنة كسرى لهم من قبل، إذ إنهم هزموا، وهربوا إلى داخل مدينتهم، واشتد حصار المسلمين لهم حتى نفد ما لديهم من طعام واضطروا إلى أكل الكلاب!، وكأن الله – عز وجل – يجازيهم بذلك على عنادهم وتكبرهم.

(١) تاريخ الطبري – جـ ٤ – ص ٥.

المسلمون يرفضون الصلح بشروط:

وأمام هذا الموقف الخطير، اضطر أهل المدينة أخيراً إلى طلب الصلح، فأرسل ملكهم رجلاً يعرض على المسلمين الصلح على أن يبقى للملك نصف الأرض، وللمسلمين النصف، فقال أحد الصحابة: لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً، فرفض المسلمون هذا الصلح؛ وأمر سعد أصحابه كي يقبلوا على أسوار المدينة، ولم يمض وقت طويل حتى صرخ أحد الفرس من الداخل طالباً الأمان، ولما لم يكن في طبع المسلمين حب الانتقام، فقد وافقوه، ودخلوا بُهرسير، ففوجئوا بأنه لا أحد فيها، ولما سألوا عن السبب، قيل له: إن الملك حينما سمع قول المسلم الذي أجاب على طلبه الصلح بقوله:

«لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً»(١)

وهذا هو القول الذي نسيه بعد ذلك قائله، فقال لهم الملك على الفور:

«ياويلاه، إن الملائكة لتتكلم على ألسنتهم، ترد علينا، وتجيبنا عن العرب»

إنه يدعو على نفسه بالهلاك، وذلك لأنه رأى أن هذا الجندي المسلم يتكلم بقوة وثقة. وكأن الملائكة هي التي تجيب عنه، ثم إن الملك أمر أتباعه

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٦.

بالخروج من المدينة، فعبروا النهر إلى الجهة الأخرى، فساروا في المدائن الشرقية، وهي قريبة جداً من المدائن الغربية، وهكذا دخل المسلمون مدينة بهرسير، وتملكوا المدائن الغربية وبقيت أمامهم مواجهة الفرس الذين هربوا إلى الضفة الأخرى من نهر دجلة، وقد بلغ بهم الغيظ من المسلمين مداه، بعدما انقسمت قوتهم، وتمزقوا إلى نصفين، نصف هرب إلى المكان القريب، والآخر ذهب حتى مكان يُسمى نهاوند، وذلك من شدة خوفهم(١).

كان دخول المسلمين بهرسير ليلاً، إلا أن ذلك لم يمنعهم من رؤية قصر كسرى الأبيض على الجانب الآخر من النهر، إنهم اليوم أمام مشهد عظيم، إنهم في مكان قريب جداً من قصر ملك الفرس، وذلك الذي طالما تحكم وتجبر في أهل بلده، وقد بلغ من قسوة قلب أحد ملوكهم السابقين أن مزق خطاب الرسول ﷺ، وهو الذي يدعوه فيه إلى خير دنياه وآخرته، ولكن الكبر كان قد أعمى قلبه، هاهم المسلمون بعد سنوات قليلة لا يفصلهم عن قصره إلا نهر دجلة. ولذلك فلم يكن من ضرار بن الخطاب – أحد المسلمين – إلا أن قال:

« الله أكبر! أبيض كسرى – يقصد قصر كسرى –؛ هذا ما وعد الله ورسوله ».

(١) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – جـ ٢ – ص ٥١١.

ومن ورائه كبر جميع المسلمين الحاضرين؛ فلقد صدقهم الله وعده ونصره، وتحققت بشارة الرسول ﷺ، وظلوا هكذا حتى الصباح.

مشكلة أمام جيش المسلمين لم يقابلوها من قبل:

ولكن المسلمين الذين يتحرقون شوقاً إلى مقابلة عدوهم، ومواصلة فتوحاتهم، لم يبق أمامهم إلا النصف الآخر من المدائن مقر حكم ملوك الفرس، ولم يتأخر المسلمون قط عن لقاء عدوهم، ولم تمنعهم كثرة عدوهم من قتال أعداء الله، وإذاقتهم مرارة سيوف أتباع محمد ﷺ، ولكن المسلمين هذه المرة أمام مانع عظيم يضطرهم لعدم مقابلة الفرس الذين ذاقوا قسوة الهزيمة، وأين؟ على أرضهم، وبين أهلهم، ومن الذين يهزمونهم؟ إنهم المسلمون، أولئك الذين كانوا متفرقين ممزقين حتى بعث الله فيهم الرسول ﷺ، ولأن الفرس علموا التحول الذي حدث في حياة أتباع محمد ﷺ؛ لذلك فإنهم حينما عبروا نهر دجلة هاربين لم يتركوا سفينة واحدة وراءهم يمكن للمسلمين أن يركبوها حتى يلحقوا بهم، نعم إنها مشكلة لم يعرفها المسلمون من قبل، وبخاصة أنهم اعتادوا الحياة على اليابسة، ولم يقتربوا من مياه نهر أو بحر في حياتهم العادية من قبل، ولكن هل تبقى هذه المشكلة عائقاً أمامهم؟

سعد يعلن حله للمشكلة:

كان النهر في موسم فيضانه؛ لذلك فإن مياهه زائدة، وكل هذه مزايا في صف جنود الفرس المتجمعين خلف النهر يشاهدون بقاء المسلمين لا يستطيعون عبوراً إليهم (١)، ولكن هل يقف سعد أمام هذه المشكلة الجديدة معلناً عجزه وبخاصة بعدما وصله أن كسرى يجهز لنقل أمواله التي حملها، كي يهرب به إلى حُلوان. وسعد وجيش المسلمين إن لم يتصرفوا في مدة ثلاثة أيام، فإنهم بذلك لن يتمكنوا من اللحاق به(٢).

أخذ سعد يفكر في كيفية الوصول إلى جنود الفرس، واللحاق بكسرى الذي يعمل على ترك بقايا جيشه والهرب بما يستطيع من مال ومتاع. في هذا الوقت العصيب، أخذ سعد يقلب الأفكار في ذهنه أياماً، حتى جاءه من الفرس من أخبره بمكان ينخفض فيه ماء النهر، فرفض أن يأمرهم بالعبور، وخاف مرة ثانية عليهم، مع زيادة رغبته في العبور، ونام القائد المسلم الشجاع، فرأى في منامه أن المسلمين قد عبروا النهر بخيولهم، وأنهم نجحوا في ذلك، فاستيقظ من نومه، وهو منشرح الصدر، فوجد الحل للمشكلة التي سببها هرب الفرس بالسفن أمام المسلمين(٣).

---

(١) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد – ص ١٣٤.

(٢) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٧.

(٣) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – جـ٢ – ص ٥١١.

سعد يحمس المسلمين:

جمع سعد جيش المسلمين، فحمد الله وشكره، ثم قال لهم:

«إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا ويحاربونكم في سفنهم، وليس شيء تخافون أن تحاربوا منه، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنيَّاتكم قبل أن تحصركم الدنيا ألا إنيّ قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم».

فرد عليه الجنود جميعاً:

«عزم الله لنا ولك على الرُّشد»(١).

إنهم يعلمونه بموافقتهم على رأيه، ويدعون الله – عز وجل – أن يوفقهم.

العبور:

إن جموع الفرس تستفز المسلمين لمحاربتهم، وهم قد تجمعوا في المدائن، وقطعوا الطريق على المسلمين بأن أخذوا السفن، فما يستطيعون عبوراً إليهم، فهل يتأخر المسلمون عن محاربتهم؟ ولكن كيف يستطيعون عبور النهر، قال لهم سعد:

– «من يبدأ؟».

---

(١) تاريخ الطبري – جـ ٤ – ص ٩.

يريد واحداً من صحابته يبدأ العبور كي يحمي الفريق على الجهة الأخرى، فلا يمنع الفرسُ المسلمين من العبور، بأن يهاجموهم قبل وصولهم مثلاً، فقام إلى سعد رجل اسمه عاصم بن عمرو ومعه ست مئة مقاتل من ذوي القوة والشجاعة والإيمان العميق، وأعلنوا رغبتهم في العبور، وسُمُّوا بكتيبة الأهوال – أي: مجموعة مقابلة الصعاب، والتغلب عليها – ثم إن مجموعة أخرى من الجند قررت العبور، بقيادة القعقاع بن عمرو وكان اسم مجموعته الخرساء – أي: الذين لن يتحدثوا حتى يعبروا إلى الضفة الأخرى – يُؤمِّنوا المكان للمسلمين، ويبطلوا مكر عدوهم.

كانت المهمة بالغة الصعوبة، ولكن على مَنْ؟ على المسلمين الذين يثقون في نصر الله لهم، ولذلك أمرهم سعد بأن يقولوا:

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(١).

الكرامة:

وفي لحظة العبور، وقفت جموع المسلمين بقيادة عاصم والقعقاع بني عمرو بخيلهم، وهم للمرة الأولى يعبرون النهر، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تقدم قائلاً:

(١) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد – ص ١٣٥.

– «أتخافون من هذه المياه القليلة؟».

إنه يقلل من قيمة النهر في أعينهم، فما مياهه تجاه ملك الله الذي وعدهم النصر إلا مياهٌ قليلة، ثم قرأ عليه قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وهل يخاف المسلمون الموت؟ وهم يعلمون أنه لن يجيء إلا في ميعاده، لن يقدمه أحد، ولن تستطيع أية قوة في الكون تأخيره إذا ما جاء، ثم إن هذا الجندي المسلم تقدم بفرسه أمامهم، عابراً النهر، وتقدم المسلمون وراءه(١)، فكيف وجدوا الماء، وهم الذين ما اعتادوا عبوره، ولكنهم توكلوا على الله، فكان أعجب شيء وجدوه أن الله – عز وجل – قد جعل لهم أرض النهر متماسكة فلا تعلوهم، وهم يسمعون من جديد مقولة القائد سعد؛ حتى لكأنَّ لها دويًّا في آذانهم:

«والله لينصرن الله أولياءه، وليظهرن دينه، وليهزمنّ عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي ظلم ولا ذنوب»(٢).

وسار المسلمون، وقد ألقى الله في قلوبهم الأمان والطمأنينة، يتحدثون، ويبتسمون، تماماً كما لو أنهم كانوا يعبرون فوق(٣).

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٧. (٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – جـ ٢ – ص ٥١٣.
(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر – ابن خلدون – ص ١٠١.

المفاجأة:

وكانت المفاجأة شديدة على الفرس الواقفين عند الجهة الأخرى من النهر، واثقين من عدم مقدرة المسلمين على العبور إليهم، إذ إنهم أبصروا – لدهشتهم – خيل المسلمين طافية، ظاهرة فوق وجه الماء، فأخذوا يصيحون:

– «دُيوانا .. ديوانا».

أي: مجانين – مجانين، فإنهم ما يتخيلون، وما كان يخطر لهم على بال أبداً أن تستطيع الخيل عبور النهر، وذلك لأنهم لم يعلموا مَنْ يقاتلون، إنهم يقاتلون المسلمين؟ وهل من شيء يمنع تقدم المسلمين الذين ينصرهم الله رب العالمين؟.

ثم أخذ الفرس يقولون:

«والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً»(١).

حرب في قلب النهر:

وأسرع الفرس المكلفين بحماية المدينة بإرسال فرسان منهم يلتقون مع المسلمين في عرض النهر كي يمنعوهم من العبور، وهي المرة الأولى التي

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٧.

حارب المسلمون فيها عدوهم فوق الماء!. وأسرع إليهم جنود المسلمين وقد أمرهم عاصم بن عمرو قائد كتيبة الأهوال بأن يبرزوا رماحهم، وأن يضربوا عيون خيل الفرس، فصارت خيلهم تضطرب، وهم فوقها لا يستطيعون سيطرة عليها، فما وجدوا فرصة إلا الهرب، والمسلمون خلفهم، كل هذا والمسلمون الذين يعبرون ألف ومئتي فارس فقط، وسعد وبقية المسلمين على الشاطئ الآخر من النهر ينظرون(١).

ثم أذن سعد لبقية الجيش بالعبور، وقد هرب الفرس من أمام المسلمين، بعدما ذاقوا مرارة سيوفهم فوق الماء، مثلما ذاقوها من قبل فوق اليابسة، وبعدما رأى يزدجر ملكُهم قوتهم وشجاعتهم، أسرع هاربًا، وكان لشدة خوفه أمر أهله بالخروج من المدينة، وكيف يقاتل الفرس الذين يحمونها، وقد وصل إليهم:

«علامَ تقتلون أنفسكم! فوالله ما في المدائن أحد»(٢).

الفرس القوة الثانية الكبرى في العالم بعدما رأت ما رأته من المسلمين، لا تستطيع ثباتًا أمامهم، وملكهم ذلك المتجبر المتكبر يكون أول الهاربين، وذلك قبل أن يدخل المسلمون المدائن التي كان قد احتمى فيها، والجنود

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٨٧.

(٢) تاريخ الطبري – جـ ٤ – ص ١٣.

المكلفون بالدفاع عن المدينة يصل إليهم أنه لا فائدة مما يفعلون، فلقد هرب جميع مَنْ في المدينة، بما فيهم الملك، فما كان أمامهم إلا أن يواصلوا الهرب.

دعوة سعد:

وأصبح جيش المسلمين في النهر، وهم يرون نصر الله لهم، فساروا فيه حتى ملؤوا بين جانبيه، فلا يستطيع أحد رؤية وجه الماء من كثرتهم، وفيهم الراكب، وفيهم الذي يسير على رجليه، فما فقدوا جنديًا مسلمًا واحداً، ولا شيئاً من متاعهم، وكانت كرامة حققها الله على يد جيش سعد، الذي كان مجاب الدعاء، لدعوة الرسول ﷺ ربه بأن يجيب دعاءه، فلم يُصَبْ أحد من المسلمين، وقال سلمان الفارسي:

«الإسلام جديد، ذُلِّلتْ لهم البحور كما ذُلِّل لهم البرّ، والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا»(١).

ذلك لأن المسلمين رجال قد صدقوا الله، فصدقهم الله، وحقق لهم نصره، وحفظ عليهم أنفسهم وأشياءهم.

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - جـ ٢ - ص ٥١٢.

الفصل الثاني
المسلمون يدخلون المدائن

انتصار عظيم:

كان مشهداً عظيمًا لم يشهد التاريخ مثله من قبل، فها هي خيل المسلمين تقف على الشاطئ الشرقي لنهر دجلة وهي تصهل بصوت عالٍ، وتهز رأسها في شدة أو تحرك أجسادها نافضة الماء عنها، الخيل عبرت المياه، وخرجت سالمة.

خيول المسلمين لم تمنعها قوة النهر من العبور إلى المدائن مقر حكم ملوك الفرس الجبابرة، والفرس المشهود لهم بالقوة ما صدقوا أنفسهم حينما رأوا المسلمين يعبرون فوق الخيل إليهم، حاربوا ثم انسحبوا، حاملين معهم ما استطاعوا من الذهب وأفخر أنواع الثياب، هربوا جميعاً بقيادة ملكهم، تاركين وراءهم مالا تُقَدَّر قيمته بمال..

سعد في القصر الأبيض:

ودخل المسلمون المدائن فوجدوا الثياب الفخمة في الخزائن، والمتاع والأواني بما لا يقدر ثمنه بمال، ودخلوا بيت المال، الذي كان كسرى يكنز

فيه النقود، فوجدوا ثلاثة ألف ألف ألف – ثلاث مرات – دينار[1]، فأخذوا ما استطاعوا أن يأخذوه وتركوا الباقي، وهذه هي الأموال التي كان يدخرها لنفسه، ويمنعها عن الناس، قد حكم الله عليه بأن يتركها ويهرب، ولم يجد المسلمون هذا فقط، بل إنهم حينما دخلوا قصره وجدوا آنية مغلقة، فظنوا أن الذي بداخلها طعاماً، فلما فتحوها فوجئوا بأنها قد ملئت ذهباً[2].

سار المسلمون في المدائن فلم يجدوا أحداً من جنود الفرس، لقد غلبهم جبنهم فلم يستطيعوا توقفًا، ولم ينفعهم كل هذا المال والكنوز الوفيرة، ولقد نصر الله المسلمين بشجاعتهم فنالوا كل هذه الخيرات.

ووصل سعد إلى القصر الأبيض حيث كان يسكن كسرى، فوجده مغلقًا على من فيه من المقاتلين الفرس، فأمهلهم ثلاثة أيام، فاستجابوا على أن يدفعوا الجزية، فدخل سعد قصر كسرى وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٨].

وهكذا لا يدوم الظلم أبداً، ويتذكر سعد كلمات ربه، فيشعر بعظمتها داخل نفسه، عظمة تفوق كل هذا النعيم الذي يخطو عبره، ولذلك اتخذ

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر – ابن خلدون – ص ١٠١.

(٢) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – جـ ٢ – ص ٥١٧.

– رضي الله عنه – من هذا القصر مسجداً، وبدأ بإيوان كسرى، صلى فيه المسلمون صلاة الصبح، ولم يغيروا شيئاً من نظامه(١).

رغبة المسلمين في الآخرة وزهدهم:

ورغم كثرة ما تركه الفرس من ذهب ودروع وجواهر، فلم تمتد يد مسلم على شيء لنفسه، وإنما كانوا يقدمون ما لديهم لقائدهم، حتى قيل إنه ما من أحد منهم قد أراد الدنيا، وإنما فضل الآخرة، وقد نال كل جندي بعد ذلك نصيباً عظيماً من هذه الأموال.

وأوصلوا إلى أمير المؤمنين خمس الغنائم، وفيه من كل شيء عجيب ما لم يعلمه أهل المدينة، فحمد عمرُ اللهَ، وشهد للجنود الذين أوصلوا إليه هذه الخيرات بالأمانة، وفيها السيف المصنوع من ذهب، وحزامه الذي كان يلبسه حول خصره فقال:

«إن قوماً أدُّوا هذا لذوو أمانة».

وهكذا لم يغير المال والذهب من نفوس جند الله المسلمين، ولم يؤثر فيهم النعيم؛ إذ إنه لم يمض وقت طويل، حتى كان عليهم أن يدخلوا في معركة أخرى جديدة مع جموع من جموع الفرس الهاربة، فتركوا ما

(١) فتوح البلدان – البلاذري – ص ٢٦٣.

بأيديهم، وقاموا من جديد لنُصرة دين الله، ومواجهة أعدائه الظلمة المتكبرين.

تحقق بشارة رسول الله ﷺ :

ولما رأى عمر متاع كسرى بين يديه، نادى في المسلمين طالبًا سراقة بن مالك الذي طارد الرسول ﷺ وأبا بكر خلال رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة حتى طلب منه الرسول ﷺ أن يرجع وله سوارا كسرى اللذان كان يلبسهما في يديه، فجاء سراقة إلى عمر، فقال:

« يا سراقة قم فالْبسْ ».

وبعد أن لبس سراقة السوارين قال عمر:

« رب يوم يا سراقة بن مالك، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى، وآل كسرى، لكان شرفًا لك ولقومك، انزع ».

يذكر عمر سراقة بأن هذا الذي يلبسه كان يعد شيئًا عظيمًا، ولكن هذا كان قبل مجيء الإسلام، واليوم هو يرتدي ما كان يرتديه كسرى فما يزيده هذا شرفًا.

ثم بكى عمر بن الخطاب لما تذكر أن الله قد أنعم عليه بسواري كسرى

ومتاعه، وهو ما لم يصل إلى النبي ﷺ، ولا إلى أبي بكر، فخاف أن يكون ذلك امتحانًا جديداً من ربه، يبكي وهو الخليفة العادل، ذلك لأنه دائم الخوف من ربه، والحريص على مصلحة المسلمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

معركة جديدة: جلولاء الوقيعة

أنانية كسرى:

كان الفارق بين حاكم المسلمين عمر وحاكم الفرس يزدجرد فارقاً هائلاً، فبينما كان عمر – الحريص على مصلحة المسلمين – يبكي، وهو يرى متاع يزدجرو بين يديه، ويأمر بتقسيمه على الفور، كان يزدجرد الظالم يهرب بالمال، هو وزوج ابنته، وأثناء هروبه، وهو في طريقه إلى حلوان، أخذ يجمع الرجال، والجنود من البلاد التي كان يمر بها، فاجتمع معه كثير من الجنود المخدوعين فيه، وجعل على الفرس واحداً من أتباعه اسمه مهران القائد، وحرص على أن يجعل هذا الجيش في مدينة تُسمى «جلولاء»؛ لأن فيها عدداً كبيراً من الفرس الذين هربوا من المدائن، وأراد الفرس تحصين المدينة، فحفروا حولها خندقاً، حتى لا يستطيع المسلمون دخولها.

وراح الفرس يستعدون بعددهم الكبير، وعدتهم من أدوات الحرب، وينصبون حول المدينة الآلات الضخمة التي تحميها والغيظ قد شق صدورهم؛ فالمسلمون قد طردوهم من ديارهم، وأخذوا كل مالهم، وهم لا يفكرون بعقولهم، فيرون الحق واضحاً، ويميلون إلى الصلح، ولكنه الكبرياء

المزيف يأمرهم فيطيعون، وها هو يزدجرد يجعلهم في هذه المدينة، ويسير بأهله إلى حلوان، لا يقاتل معهم، ويفضل بأنانيته الشديدة السلامة لنفسه.

لم تكن جلولاء تبعد كثيراً عن المدائن[1]، وأراد سعد أن يأخذ رأي عمر فأرسل إليه يخبره باجتماع الفرس من جديد، ورغبتهم في محاربة المسلمين..

رأي عمر:

أمر عمر سعداً أن يبقى كما هو في المدائن، ويرسل ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذاهب إلى جلولاء، على أن يكون القعقاع بن عمرو في مقدمته، كما حدد له من أبطال المسلمين مَنْ يكون على ميمنة الجيش: سِعْر بن مالك، وعلى الميسرة أخاه: عمر بن مالك. نفذ سعد أمر عمر، وأرسل مع هاشم اثني عشر ألفاً من عظماء المسلمين وأفضل المهاجرين والأنصار، وكبار العرب، وسار الجيش في صفر من العام السادس عشر من الهجرة بعد دخول المدائن مباشرة، ووصل هاشم بجيشه إلى جلولاء[2].

---

(١) سلسلة الفتح الإسلامي – الكتاب الأول – النعمان بن مقرن – محمد علي قطب – ص ٢٥.

(٢) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٩٣.

جُبن الفرس:

كانت وصية كسرى للفرس بأن يثبتوا في قتال المسلمين لأنهم لو افترقوا وتركوا جلولاء فلن يجتمع عددهم هذا ثانية، ولن يتمكنوا بأشخاصهم من الالتقاء ثانية، ولابد لهم من أن ينتصروا على المسلمين، حتى يستردوا ملكهم الضائع[1]، وعلى ذلك فقد تعاهدوا على عدم الهرب، كما كانوا يفعلون في المعارك السابقة، وحلفوا على النار – التي كانوا يرونها لقلة عقلهم مقدسة – ألا يتركوا أماكنهم حتى يقضوا على العرب، ولكن الفرس كعادتهم في بهرسير وفي المدائن كانوا شديدي الخوف من سيوف المسلمين، ولذلك ظلوا داخل المدينة لمدة ثمانين يومًا، يخرجون، فيحاربون المسلمين ثم يعودون إلى داخل المدينة ثانية، ويزدجرد يتابع المعركة في غيظ شديد، ويرسل بالمدد إلى مهران، وسعد حريص على نصر المسلمين يرسل بالجنود ليساعدوا هاشمًا وجيشه[2] حتى جاء يوم..

خروج الفرس:

واشتد الحصار على الفرس حتى قرروا الخروج لمحاربة المسلمين، فلما علم هاشم بذلك قام في المسلمين خطيباً ومحمسًا لهم، فقال:

---

(١) الكامل في التاريخ – ابن الأثير – جـ ٢ – ص ٥٢٠.

(٢) العبر والمبتدأ والخبر – ابن خلدون – ص ١٠٢.

«أبلوا الله بلاء حسنًا يتم لكم عليه الأجر والمغنمَ، واعملوا لله».

يقول لهم بأن عليهم أن يروا الله في هذا الموقف قوتهم، وثباتهم، حتى ينزل عليهم نصره الذي وعدهم، وكان آخر ما نصحهم به أن يكون عملهم، وجهادهم في هذا اليوم خالصاً لله.

بداية المعركة:

كان هاشم قائد المسلمين كلما طلب مساعدة أرسل إليه سعد مئتين من جنود المسلمين، ولكن هذا العدد القليل كان كثيراً في عيون الفرس الخائفين، لقد أرسل سعد ست مئة جندي مسلم، فكانوا في نظر الفرس عدداً عظيمًا، وكيف لا يكون؟ وهم الذين رأوهم يعبرون النهر، ولا يقف في طريقهم شيء حتى الماء ولا سفن لديهم، لذلك خاف الفرس من ازدياد عدد المسلمين بضع مئات، فإنهم يعلمون أن المسلم الواحد يحسب في ساعة الحرب بعشرة محاربين، ولذلك أسرعوا خوفاً يحاربونهم من زيادة أخرى تجيء إليهم.

وبدأت الحرب شديدة، حتى إن المسلمين قتلوا من الفرس أكثر مما قتلوا في ليلة الهرير الطويلة التي كانت بداية لنصر الله للمسلمين في موقعة القادسية[1]، ورغم ذلك فإن هؤلاء الجنود من الفرس كانوا يعلمون بأن

(١) ديوان العبر والمبتدأ والخبر – ابن خلدون – ص ١٠٢.

الفرصة لن تتاح لهم مرة ثانية كي يقاتلوا المسلمين، وهم قد احتموا بالمدينة ثمانين يومًا، فما نفعتهم، فلم يبق أمامهم إلا الوقوف، والحرب كآخر حل.

حارب جنود الفرس المسلمين في ذلك اليوم محاربة الجبان، الذي لا يجد مكانًا يذهب إليه، ولا حلاً آخر غير الحرب، لذلك يتمسك بحرب عدوه لا عن شجاعة، وإنما هو الحل الآخير، فلا مهرب أمامه، ولا حيلة تنقذه، فلم يقاتل الفرس المسلمين في مكان أشد مما قاتلوهم في جلولاء[1].

وهم في حربهم قد أنهوا ما معهم من النبال، ضربوا بها المسلمين، ورموها عليهم، وكذلك أفنوا الرماح، واضطروا إلى استخدام آلة تشبه الفأس في حرب المسلمين.

موقف الفرس:

لقد كان هؤلاء الفرس يبذلون آخر ما لديهم من قدرة على الحرب، ويبرزون ما في طاقتهم، يريدون تعويض ما خسروه من هزائم شديدة على مدار ثلاث سنوات؛ منذ أن جاء خالد بن الوليد إلى أرضهم، وحتى فتح

---

(١) تاريخ الطبري – جـ ٤ – ص ٢٧.

(٢) أبطال الفتح الإسلامي – الكتاب الأول – ص ٢٥ – محمد علي قطب.

سعد ابن أبي وقاص المدائن التي كانوا يفتخرون بها، ويحسبونها من علامات مجدهم وحضارتهم.

موقف المسلمين:

لقد تحمل المسلمون حتى الظهر هجوم الفرس العنيف، ولما جاء وقت صلاة الظهر صلى المسلمون صلاة الظهر بالإيماء – أي بالإشارة – لعدم قدرتهم على ترك ميدان المعركة، حتى إذا مرَّ بعض الوقت – وكان بين صلاة الظهر والعصر – غيرّ الفرس جيشهم بآخر أكثر راحة يقاتل المسلمين، فقام القعقاع بن عمرو سريعًا في المسلمين يخطب قائلاً:

– «أَهَالَكُم – ما رأيتم أيها المسلمون؟».

يسألهم القعقاع هل أخَافَكم تغيير جيش الفرس؟ فقال المسلمون:

«نعم، إنَّا مُكلُّون وهم مُريحون».

إننا نقاتلهم منذ بداية المعركة فنحن متعبون، وجيش الفرس حضر الآن وهم أكثر راحة، فرد عليهم القعقاع الصحابي الشجاع قائلاً:

– «بل إنّا حاملون عليهم، ومُجِدُّون في طلبهم، حتى يحكم الله بيننا، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم، فحمل، وحمل الناس»[1].

(١) البداية والنهاية – ابن كثير – جـ ٤ – ص ٩٤.

إنه البطل صاحب المواقف المشرقة في الأوقات الصعبة، وهو الذي ظل ساهراً محارباً ليلة الهرير حتى جاء نصر القادسية عند الصباح، وهو يعلن عن عزمه محاربة عدوه والهجوم عليه، رغم التغيير الذي أحدثوه في صفوفهم حتى يقضي الله أمره، وهو يأمر الجيش كله أن يهجم معه، حتى يدخلوا بين صفوف الأعداء. وبالفعل هجم القعقاع وهجم المسلمون خلفه.

قاد البطل الشجاع المهاجمين، ومعه مجموعة من الأبطال الشداد حتى...

الرياح:

واشتدت المعركة بهجوم المسلمين، وردَّهم على الفرس، وأراد الله أن يعُليَ من أمر جنده، فأرسل رياحاً شديدة على عدوهم، لا تبقيهم في أماكنهم، فازدادت ثقة المسلمين في النصر على عدوهم، فهاهم على كثرة عددهم لا يستطيعون تصرفاً أمام الرياح التي حوَّلت نهارهم إلى ظلام شديد يشبه الليل، حقًا وما يعلم جنود ربك إلا هو، لقد حسب الفرس حساب المسلمين الذين يقاتلون، وأسرعوا في حربهم خوفاً من المدد الذي يساعدهم، وما علموا أن هناك مدداً آخر لم يحسبوا حسابه، ولم يخطر لهم على بال، إنه مدد السماء الذي يصل إلى المسلمين في الأوقات المناسبة، وها

هي الرياح تساعدهم، وتوقع جموع الفرس الكثيرة في الاضطراب، لقد حفروا الخندق حول مدينتهم كي يقع فيه المسلمون، وهم يرون الموقف الآن بالغ الصعوبة، فتوقفوا عن الهجوم، وامتنعوا عن الحرب، على ثقة من أن الخندق سوف يمنع المسلمين إن أرادوا دخول المدينة عليهم، فكانت المفاجأة أنهم هم أنفسهم لا يبصرون ما أمامهم، فتقع خيولهم فيه.

وحاول الفرس إصلاح الأمر، فجعلوا في الخندق طريقاً يصعد الذي وضع فيه منه إلى المدينة الذي وقع فيه، فأفسدوا بذلك خطتهم، وهم لا يدرون.

فشل خطة الفرس:

لقد كانت خطة الفرس خطة محكمة؛ لأنهم يرونها الفرصة الأخيرة لمجموعتهم في الحياة، لقد كانوا يقاتلون في صلابة، مهاجمين للمسلمين، معتقدين بأن الخندق الذي حول جولاء سوف يحمي المدينة من دخول المسلمين إليها، لذا فإنهم يحاربونهم واثقين من عدم قدرة المسلمين على دخول المدينة على أي حال، وكانت خطة المسلمين هي تحمل هجوم الفرس الشديد في بداية المعركة، هذا الهجوم القوي لجنود الفرس وما علموا أن المسلمين ملتزمون الصبر، معتمدين على الله في إمدادهم بالقوة اللازمة بعد

استنفاذ عدوهم لقوته، بعد أن يحدث له ما لم يكن يخطر له على بال، وقد كان ذلك في هذه المعركة فقد هبت الرياح التي أفسدت كل ما أعده الفرس من حسابات، وحولت المعركة في اتجاه آخر جديد غير الذي كانوا قد خططوا له وأعدوا.

هجوم المسلمين:

كان هبوب الرياح فرصة للمسلمين الذين يحاربون من أول النهار كي يرتاحوا، ولم يكن الفرس الذي اعتقدوا أنهم سوف ينتصرون بعددهم، وقوة سلاحهم يتوقعون أن يحدث هذا، فتوقفوا عن الحرب، ربما ليحاولوا تغيير خطتهم، ولكن خبر اضطرابهم، وسقوط بعض منهم في الخندق كان قد وصل إلى المسلمين، ولذلك قاموا إليهم مسرعين ليبدأ جزء ثانٍ من المعركة لم يتخيل أعداؤهم أن يقعوا فيه، إذ بدأ هجوم المسلمين عنيفًا كما لم يكن من قبل، ذلك لأنهم واثقين من حيرة عدوهم.

دور القعقاع في المعركة:

وأراد القعقاع الشجاع أن يحمس المسلمين، ويزيد من قدرتهم على القتال التي ازدادت وتوهجت بعدما فعلته الرياح بعدوهم، وهو يرى في عدوه بقايا من رمق ولا يريد أن تطول المعركة، فيستريح الفرس، أو يرسل

إليهم يزدجرد مدداً يساعدهم، ولذلك تحرك سريعاً بعد ندائه للمؤمنين بالثبات والهجوم على عدوهم، حتى واصل من نفس الطريق الذي سار فيه إلى باب خندق الفرس وصاح في المسلمين:

« يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق، وأخذ به، فَأقْبِلُوا إليه ولا يمنعكم مَنْ بينكم وبينه.. ».

إنه يريد أن يقوي من عزيمة المسلمين، فيصيح فيهم بأن قائدهم هاشم قد استطاع الوصول إلى خندق العدو، وبذلك تكون المعركة قد أوشكت على الانتهاء لصالح المسلمين، وهو ينادي المسلمين كي يسيروا وراءه ويصلوا إلى ما وصل إليه، ولا يتركونه بين الأعداء بمفرده.

لقد كان لهذه الكلمات تأثير عظيم على نفوس المسلمين، فها هو القائد بمفرده يستطيع النفاذ حتى الخندق الذي يحتمي خلفه الفرس، ويرونه سر نصرهم في هذه المعركة الشديدة، فهل يتركونه بمفرده هناك.

بسالة المسلمين في القتال:

فأخذ المسلمون يقاتلون في استبسال شديد، ويضربون عدوهم يميناً ويساراً، يريدون الوصول إلى مكان قائدهم، وكان من العزم والتصميم لدرجة أن الفرس لم يستطيعوا ثباتًا أمامهم، واستطاع المسلمون الوصول إلى

باب الخندق، وهناك وجدوا القعقاع[١] فانهزموا وأسرعوا يريدون الهرب.

عدد قتلى الفرس:

وكان عدد الذين قُتِلوا من الفرس في هذه المعركة مئة ألف، حتى إنهم قد غطوا أرض المعركة، «جللوها»[٢] أي ما تركوا فيها مكاناً فارغاً -، ولذلك سميت هذه الحرب باسم جلولاء، وهي على ذلك تسمى الوقيعة أي: الحرب، وذلك تمييزاً لها عن معركة أخرى وقعت في بداية حرب القادسية، وكان المكان الذي حدثت فيه المعركة اسمه جلولاء، وكان اسم المعركة نفسها يوم الحيتان وكانت وقائعها في السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقد قاد المسلمين فيها سعدُ بن أبي وقاص.

غنائم المسلمين في جلولاء:

وأخذ المسلمون من عدوهم الهارب المهزوم مالاً كثيراً، ومتاعاً لا يقل عما أخذوه في فتح المدائن، ويقال إن الغنائم حينما أحصيت وجدها المسلمون ثلاثين ألف ألف دينار، ذلك لأن الفرس كانوا قد هربوا بهذا المال من المدائن. ونال الفارس من المسلمين نصيباً عظيماً من الخيل، وكذلك بعض الدواب[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير جـ ٢ - ص ٥١٩. (٢) البداية والنهاية - ابن كثير - جـ ٤ - ص ٩٤.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر - ابن خلدون - ص ١٠٢.

ولقد أحضر أحد الصحابة وهو خارجة بن الصلت من هذه الغنائم ناقة صنعت من ذهب أو فضة، وعليها رجل موشح من ذهب كذلك، ورغم ذلك تركها.

وكان نصيب الجندي المسلم الفارس تسعة آلاف دينار.

وأرسل هاشم خُمْسَ الغنائم إلى عمه سعد في المدائن.

المسلمون يسيرون خلف الفرس الهاربين:

وأمر هاشم قائد المسلمين في جلولاء القعقاع بن عمرو أن يتبع الفرس الهاربين، حتى يقضي عليهم، فسار وراءهم حتى مكان يُسمى «خانقين»، وهناك أدرك قائدَ الفرس الهارب كعادة كبرائهم وملوكهم وقوادهم حينما يشتد بهم البلاء، وتقع عليهم المصيبة، لا يعرفون ساعتها إلا طريقاً واحداً، هو طريق الهرب، وهكذا كانت نهاية عظماء الفرس المغترين بقوتهم، والذين ظنوا أن بإمكانهم هزيمة المسلمين.

لقد هربوا تاركين النساء وراءهم سبايا ولم يقفوا ليدافعوا عنهن؛ فأخذهن هاشم بن عتبة بعدما أرسلهن إليه القعقاع.

موقف كسرى الخزي:

أما أشد مواقف كبراء الفرس خزياً فقد كان موقف كسرى. لقد خطط

عظيم الفرس، وظن أن جيشه في جلولاء سوف يمنع المسلمين من الوصول إليه في حلوان، فلما انهزم الجيش فرَّ هارباً مرة ثانية إلى الجبال، إنه لم يشترك في الحرب، ولا خاف على جنوده الكثيرين كما خاف على نفسه وفي مقابل هذه يضحي بأرواح مئات الآلاف من جنود الفرس، وفي النهاية يهرب إلى مكان جديد، وكان القعقاع بن عمرو قد سار يريد الوصول إليه حتى حلوان.

عمر يفضل سلامة المسلمين:

أين موقف كسرى من موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي وصلته رسالة يخبره فيها المسلمون في بلاد فارس أنهم قد انتصروا على عدوهم، وأن القعقاع قد سار حتى حُلوان، ليستأذنوه في مواصلة السير خلف الفرس حتى يقضوا عليهم، فرفض وقال:

– «لوددتُ أنَّ بين السواد(*) وبين الجبل، لا يخلصون – أي يصلون – إلينا، ولا نخلصُ إليهم .. إني آثرتُ سلامة المسلمين على الأنفال يقصد أموال الفرس التي حملوها، وهربوا بها»(١).

(*) والسواد: القرى المحيطة بالعراق اليوم.

(١) تاريخ الطبري – جـ ٤ – ص ٢٨.

إن كسرى يهرب من مكان لآخر، ويتبادل الأماكن حرصاً على حياته، وعلى ما معه من مال وذهب، وعمر أمير المؤمنين يرفض أن يسير بعض من جيشه خلف كسرى، ويتمنى لو أنه وُجِدَ جبلٌ بينهم وبين المسلمين، فلا يصلون إليهم، لماذا؟ لأنه حريص على سلامتهم، ولا يريد لهم الضرر، وهو يعلن أنه يفضل سلامة الجنود الموحِّدين على الغنائم التي يأخذونها من الفرس، هذا هو الحاكم العادل الخائف على جنده، يظهر لنا في صورة مشرقة أخرى يتضاءل، بل يختفي حاكم مثل كسرى أمامها.

افتخار الخليفة بنصر جلولاء:

سأل عمر أول ما سأل عن سير المعركة، فلما سمع من زياد بن أبي سفيان الأحداث التي حدثت أُعجب بموقف جنود المسلمين حتى إنه قال له:

«هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟».

إنه يسأله هل يقدر على أن يقف بين المسلمين ليخبرهم بما قصّه لعمر؟ فقال زياد:

«والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك؟!».

يجيب الجندي المسلم الذي يعرف قَدْر أمير المؤمنين فيقول بأنه ما من

أحد في الدنيا يدخر له الاحترام في صدره، وبالتالي يشعر بالرهبة، وعظمة الموقف عند الحديث أمامه أكثر منه، وقد استطاع الحديث أمامه، ووصف أحداث انتصار المسلمين، فهل يرهب الحديث أمام الناس بعدما تحدث أمامه؟.

فلما استمع المسلمون إلى كلمات زياد قال عمر:

«إنَّ هذا لهو الخطيب المصقع – أي: الفصيح – ».

لقد أعجب بقدرته على وصف المعركة، وما جرى فيها: فقال زياد:

«إن جنودنا أطلقوا بالفعال لساننا؟».

لا يرجع زياد إعجاب المسلمين وأمير المؤمنين بكلماته إلى قدرته على الكلام، ولكن إلى حسن أفعال جنود الحق، إنهم قد جعلوا ألسنتنا تنطلق لنتحدث عنهم كثيراً بحسن أفعالهم في جلولاء.

أمانة:

هذا الحديث الطويل، ورواية زياد لأحداث المعركة هذا كله قبل أن ينظر عمر في الغنائم، إن آخر شيء يمكنه التفكير فيه هو المال، أين كسرى الذي يحرص أول ما يحرص على الهرب بالمال كي يستمع به. ويسأل أمير المؤمنين الذي يحس بعظم المسؤولية عن الشهداء، فيقال له إن فيهم سعد

ابن عبيد الأنصاري، وهو واحد من عظماء الصحابة؛ فيحزن عمر لذلك حزناً شديداً، ويقول:

«لقد كان قتله ينغص علي هذا الفتح».

يا سبحان الله إن استشهاد أحد الصحابة الكبار يؤلم أمير المؤمنين، حتى يكاد يذهب بلذة النصر، ومعناه من نفسه، وكسرى يموت في المعركة الأخيرة من جنوده مائة ألف، فما يهتز له جفن، ولا تتألم نفسه، يهتم بأمر نفسه فقط، وهربه بما معه من أموال، ومجوهرات ومتاع من حلوان إلى الجبل، أليس هذا أحد أسباب سيادة المسلمين للعالم، وانتصارهم في ذلك الوقت.

تقسيم الغنائم بين المسلمين:

وقبل أن يرى عمر الغنائم أقسم أن لا يوضع هذا المال والمتاع في بيتٍ حتى يقسَّم، إنه حرص الحاكم العادل على أن يكون كل شيء أمام الناس، وعلى أعينهم، فباتت الغنائم في المسجد حتى الصباح يحرسها عبد بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف، وحينما جاء ميعاد تقسيمها نظر إليها عمر؛ إلى بريقها، ولمعانها، وعظمتها، وبكى. فقال له عبد الرحمن بن عوف:

«ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ والله إن هذا لموطن شكر».

فيجيبه عمر:

«والله ما ذاك يُبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا أُلقي بأسهم بينهم».

وهكذا أنعم الله على المسلمين بفتح جلولاء، بعد نصر القادسية، ولكن هل كان للفرس أن يأخذوا درساً مما تعرضوا له من هزائم، كيف وحاكمهم يزدجرد يحرضهم على الدخول معهم في معارك أخرى.

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الفصل الأول

موقف قوي ٥

الفصل الثاني

المسلمون يدخلون المدائن ١٩

الفصل الثالث

معركة جديدة ٢٥

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

Printing & Packaging